الجودة في التعليم العالي الجزائري

(دراسة تحليلية مبنية على معالجة وثيقية)

الدكتورة: مليكة عرعور، جامعة بسكرة، الجزائر

ملخص:

يعد النهوض بالتعليم إستراتيجية مجتمعية عالية الأفق تعتزمها الدولة الجزائرية بكل مؤسساتها الأكاديمية، هذه الأخيرة التي عملت على تحقيق ذاك الهدف عبر اعتمادها مبادئ جودة التعليم في مؤسسات العالي، لكن كون الجزائر ذات مميزات وظروف عدة تجعل تطبيق مبادئ جودة التعليم العالي بالجامعات الجزائرية تتأرجح بين الفشل والتمكين.

جاءت هذه الدراسة الميدانية بهدف إجراء قراءة نقدية لعملية تفعيل جودة التعليم العالي قراءة معتدلة بين التأييد والرفض، للإجابة عن التساؤل الرئيس مؤداه: هل الجامعات الجزائرية جاهزة مادياً ومعنوياً في تطبيق جودة التعليم العالي في مواكبتها للتغييرات العالمية؟

Résumé:

L'Etat algérien a adopté une stratégie éducative dans ces établissements académiques, qui applique les principes de qualité d'enseignement afin d'atteindre les objectifs de l'enseignement supérieur qui sera capable de produire un individu antique. Mais le fait que l'Algérie avec ses avantages et ses conditions achèvent les principes de la qualité d'enseignement dans les universités algériennes oscillant entre l'échec et la réussite.

L'objective de cette étude de terrain est de donner une critique de l'activation de la qualité d'enseignement supérieur modérée entre le soutien et le rejet de l'application pour répondre à la proviseure question à l'effet de: est-ce que l'université algérienne est prête financièrement et moralement dans la vigilance de la qualité d'enseignement supérieur pour joindre le rythme des changements globaux?

مقدمة:

بعد الثورة العالمية المعلوماتية المعاصر تحول العالم المعاصر إلى قربة صغيرة، حيث ترتب عنه ممارسات تنافسية محلية وعالمية غير مسبوقة في عالم سوق العمل المادي واللامادية، ومن ثمة فالآلية التنافسية الأكفأ التي غدت متداولة بين مختلف المؤسسات في مختلف دول العالم بما فيها الدول العالم الثالث تتمثل في تجويد مستوى منتجاتها وخدماتها لبلوغ مستوى المنتج الأفضل لإرضاء المستهلك، وبما أن الفاعل الأساسي تحقيق ذلك هو الفرد، وبالتالي فإن الحديث عن جودة بناء هذا الأخير معرفياً، بيداغوجياً وفكرياً ونفسياً تعد أساسية، الأمر الذي أصبح هاجس كل المؤسسات التعليمية في كل المراحل التعليمية بما فيها التعليم العالي.

يعد التعليم الجامعي آلية المجتمعات الحديثة في ميدان التنافس بين القوى العالمية للتطور والإبداع في ظل توازنات والصراعات الحالية، وبالتالي الارتقاء بالمجتمع العالمي والمحلي، وعليه تتميز مؤسسات التعليم العالي في دول العالم المعاصر باهتمامها المتزايد بتفعيل مؤشرات جودة التعليم بأعلى قدر ممكن لضمان مخرجات مؤهلة والأهم مبدعة في عملها لتحقيق تنافسية عالية في سوق العمل محلياً وعالمياً، ومن ثمة السير بالمجتمع قدما في ركب التنمية المستدامة.

لقد سعت الجامعة الجزائرية إلى تفعيل دورها الاجتماعي والاقتصادي التعليم العالي في البلاد عبر تحسين مخرجاتها وتقديمها لسوق العمل مؤهلة وقادرة على تنشيط المؤسسات الاقتصادية وحماية المؤسسات الاجتماعية المختلفة وضمان قيامها بوظيفتها، إضافة إلى كسبهم المهارات المتنوعة لأجل تطويرها وتنميتها وكذا مواجهة التحديات والصعوبات العالمية والمحلية لمواكبة التطويرات والتغييرات نتيجة وعولمة العالم، وذلك من خلال تطبيق مؤشرات الجودة على منتجاتها.

إشكالية الدراسة:

تعتبر الجزائر من الدول السائرة في طريق النمو الاقتصادي والاجتماعي، والتي حاولت مواكبة الدول المتقدمة في كثير من الاجراءات والخطط التنموية بالتركيز على الكثير من الأليات إحداها التعليم، حيث ترتب عن ذلك، انتشار المؤسسات الجامعية في الترب الجزائري مع توفير التمكين المالي، البشري، المادي مع حداثة الأساليب البيداغوجية، ومن هنا فإن الدولة الجزائرية ومن بعدها الجامعة سائرة في مسار تطبيق معايير جودة التعليم، إذ أن القضية جودة التعليم العالي في الجزائر لا تكمن في تحقيق التمكين على اختلاف أبعاده بقدر ما هو في كفاية المادية والكفاءة المعرفية لأجل توفير اليد العاملة المؤهلة والمدربة والأهم المبدعة في مجالها، التي تتمكن من تجسيد التغيير الايجابي والفعال اجتماعياً، حيث تعد صناعة الفكر والمفكرين في المجتمع من أهم الصناعات وأكثرها تأثير فيه على المدى البعيد.

ومن ثمة تعد الجامعات المؤسسات ذات المسئولية الكبرى أكثر من غيرها في اعداد الدراسات التي يمكن ان تنعكس ايجابياتها على تحسين جودة المجال الذي تمارسه كونها تمد كافة القطاعات بما تحتاجه من مواهب كفؤة قادرة على الابداع والتفكير المتميز وفي متمثلة مخرجاتها من الطلبة الخريجين الذين يمثلون مدخلات الى باقي المنظمات الصناعية الاخرى التي تعزز ازدهار الاقتصاد وانتعاشه في البلد ان كان ذلك المدخل ذا جودة ومعرفة في السلوك، الممارسة، الاحتراف في الأداء.

من ثمة فإن الجامعة مدركة الجزائرية مدركة تماماً للدور الريادي المنوط بها بادية من فلسفتها التعليمية وأهدافها البيداغوجية والبحثية على حد السواء، لكن الواقع الجزائري شيء والدسترة شيء مختلف عنه تماماً، لأن جودة التعليم في الجامعات الجزائرية واجهت كثير من الآراء والمعارضات والتنويهات للعاملين بالجامعة من أساتذة وباحثين، هذا من منطلق أن جودة التعليم العالي في مفهومها الاجرائي المختصر مؤداه مطابقة سمات ومواصفات المخرجات التعليمية المتمثلة

في خرجي الجامعات والبحوث العلمية للموصفات متطلبات سوق العمل المحلية والعالمية، حيث تسهم تلك المخرجات في تطوير المنتجات والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والصناعية، ومن ثمة تنمية المجتمع، وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة للبحث في حيثيات تطبيق مؤشرات الجودة التعليمية في التعليم العالي.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة من أهمية موضوع الإنتاج الرشيق وانسجامه مع ظروف المرحلة الحالية التي يمر بها الاقتصاد العالمي عموما والمحلي خصوصا نتيجة لظروف الأزمة المالية العالمية وانتشار اثارها على كافة الاصعدة والقطاعات وليس قطاع التعليم بمنىء" عنها، في محاولة بغرض التخلص من الفاقد والصياغات التي تسبب هدراً" للموارد بأنواعها وازالة كل ما من شانه تأخير مسيرة التعليم شكلاً" ومضموناً".

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جاهزية الجامعات الجزائرية في تطبيق جودة التعليم العالي في مواكبتها للتغييرات العالمية الحاصلة في المؤسسات الاجتماعية التي تحقق بدورها مستوى عالي من التطوير والإبداع، إضافة إلى الكشف عن تقييم للكيفية المستخدمة في عملية تكريس جودة التعليم العالي في الجامعات الجزائرية.

تساؤلات الدراسة:

سعت هذه الدراسة لإعطاء إجابة دقيقة وواضحة على ضوء الطرح النظري والمعالجة الكيفية والكمية الميدانية للتساؤل الرئيس مفاده: هل الجامعات الجزائرية جاهزة مادياً ومعنوياً في تطبيق جودة التعليم العالي في مواكبتها للتغييرات العالمية؟

وينطوي تحته تساؤلين فرعيين مؤداهما:

1. هل المؤشرات المطبقة في الجامعات الجزائرية دالة على جودة التعليم العالي حقيقية؟.

2. هل مؤشرات جودة التعليم العالي المطبقة في الجامعات الجزائرية كافية لأن تحقق الجامعات الجزائرية درجة عالية من التطور والإبداع في البنية المعرفية والبحثية لدى موردها البشري؟

2. مفاهيم الدراسة:

مما لاشك فيه أن جودة التعليم العالي تعد عامل رئيسي في التنافس وقياس التقدم بين الدول من الناحية الاجتماعية والاقتصادية.

1.2. **الجودة:**

يعتبر هذا المفهوم من المفاهيم الحديثة، التي تداولها الكثيرمن الباحثين وأسقطت على الكثير من المجالات، حيث يشير هذا المفهوم من الناحية اللغوية "صار جيد" و"أجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل[1].

أما بالنسبة للمدلول الاصطلاحي فيشير إلى "درجة التألق والتميز، كون الأداء متميزاً أو كون خصائص أو بعض خصائص المنتج (المادي والمعنوي) ممتازة عند مقارنتها مع المعايير الموضوعية من المنظور أو من المنظور الزبون[2]. هذا يعني أن جوهر الجودة هو التميز والتميز المقصود والمخطط له بالتحديد، بهدف ارتقاء وتألق المؤسسة والمستهلك معاً، كذلك يشير مفهوم الجودة إلى "مجموعة الصفات والخصائص للسلعة أو الخدمة التي تؤدي إلى قدرتها على تحقيق رغبات معلنة أو مفترضة[3]. يطالب بها المستهلك سواء فرد أو مؤسسة، حيث تمكن هذا الأخير من تلبية حاجاته بالحد المقبول والمرضي، وفي ذات السياق وباختصار تعرف الجودة بأنها "الملائمة للغرض أو الاستعمال[4].

في أي مجال من مجالات الحياة، لذا فهي مسؤولية الجميع في المجتمع لأن الحياة كائن مركب يشارك وجوده جميع أفراد وجماعات المجتمع، غير أن الجودة في

مجال التعليم لها دلالة تختلف بعض الشيء والنابع من خصوصية المجال، لأن انتاج المؤسسات التعليمية ذات طابع معنوي.

2.2. جودة التعليم

يعد من المفاهيم المركبة يستمد هذه الصفة التركيبية من العملية التعليمية، التي تختلف حسب الرؤى، الأهداف، والسياسات التعليمية، ومن ثمة فإنه ليس من السهل بلورة تعريف محدد له، لذا فإن هنا سيعرض عدد من التعاريف بغرض اعطاء تعريف إجرائي للمفهوم.

في البداية يشير مفهوم جودة التعليم إلى "القدرة على التوفيق بين مخرجات التعليم وسوق العمل[5]، حيث تكمن توفيق وتوازن تلك القدرة في المجهودات المادية وغير المادية التي تبذلها المؤسسة الجامعية لتطوير العملية التعليمية، التي من المفروض أنها تفرز كم من المعارف والطرائق الفكرية المبدعة، التي تعد جوهر وقاعدة أساسية للعملية الإنتاجية والإبداعية بالتحديد، ومن ثمة فكثير من المهتمين بموضوع جودة التعليم يبلورون ذاك المفهوم بأنه يدلل على معني المعيار لأجل المقارنة بين قيمة الناتج التعليمي ومعدل الإنفاق المادي على العملية التعليمية[6].

3.2. أهمية جودة التعليم:

لقد حظيت جودة التعليم في الجزائر في الخمس سنوات الأخيرة باهتمام كبير غير مألوف، نظراً لوجود كثير من المشكلات التعليمية التي تعاني منها الجامعة الجزائرية، وأهمها تدني المستوى التعليمي، انخفاض دافعية الطالب على التعلم، إضافة إلى تطور الوسائل التعليمية، حيث غدت تستخدم جهاز الكمبيوتر، الأنترنيت، التصوير ثلاثي الأبعاد (3D)...الخ، هذا من جهة ومن جهة أخرى، أن سوق العمل بما يشمله من مؤسسات الاقتصادية والخدماتية المعاصرة أصبحت

تطالب الجامعات بمورد بشري متفتح، بارع ومبدع ذا مواصفات عالمية من أهم مميزاته القدرة على مواجهة الأزمات التنظيمية والقدرة الإبداعية والتطويرية، من هنا فقد أصبح لزاماً على الجامعات الجزائرية تغيير من نظامها التعليمي وآلياته لتحقيق جودة التعليمية عالية.

4.2. مستويات جودة التعليم:

تتم جودة التعليم العالي على ثلاث مستويات متكاملة الأداء ومرتبطة بالوجود في تأكيد المؤسسة الجامعية باعتبارها بناء، والأفراد كونهم الفاعلين الذي ينتمون للمؤسسة الجامعية وهم أنفسهم الذي يقومون بالعملية التعليمية والذي يتلقون التعليم، والمستوى الثالث والأخير يتمثل في الإجراءات التي يلزم على أولئك الأفراد اعتمادها والالتزام بها من جراء انتمائهم للمؤسسة سواء في التعليم أو التعلم، والمهم في تلك المستويات الثلاث أن كل منها يتضمن عدد من المؤشرات التي يستدل بها عن جودة التعليم، والتي تناقش لاحقا بمرجعية معطيات الجامعة الجزائرية.

1.4.2. **المستوى المؤسسي:**

ويشمل التخطيط الاستراتيجى، وتحديد الأهداف والمقاييس العامة والعمليات الأساسية، وتعيين الأساتذة وكافة المتدخلين فى تحريك وتفعيل العمليات الإدارية والتعليمية بحسب الاختصاصات الإدارية، البيداغوجية والعلمية.

2.4.2. المستوى الإجرائى: يتضمن دراسة إجراءات دراسة واقعية حقيقية، تشمل سير وكيفية العمل المتمثلة في توظيف الأساتذة والإداريين، حيث أن معظم عمليات التطوير والتحسين على الأداء، إضافة إلى إجراءات التسجيل والانتقال من مستوى تعليمى لأجل حسب التخصصات التعليمية الجامعية.

3.4.2. مستوى الأفراد: يتضمن دراسة حجم العمالة الموكلة إليهم المهام الإدارية والبيداغوجية لقياس كفاءتهم الأدائية، إضافة إلى عدد المسجلين الإجمالي في الجامعة، وعددهم في كل التخصصات الجامعية المواكبة لمتطلبات سوق العمل.

5.2. **التعليم العالي**: يشير المصطلح "لمصدر لتقدم الاقتصادي والاجتماعي، لأنه تجسيد النمو الاقتصادي، كما يمكن من تحسين النظم الحماية الاجتماعية، كما قد أثبتت الدراسات أن التعليم العالي يسهم في تنمية المهارات المعرفية التي تستخدم في تطوير الاقتصاد العالمي، تفعل الحراك الاجتماعي، الأسس السياسية والمواطنين الديمقراطيين والمجددين"[7].

المتميزين بالقدرات التطويرية والمهارات الإبداع في كل شؤون الحياة الاجتماعية، في مؤسسات أكاديمية.

6.2. **الجامعة:**

هي مؤسسة مختصة " بالتعليم العالي تستعين بمدرسين والباحثين معاً لتيسير التكوين بالمدارس المتدرجة والمهنية يوجود بناءات هي الكليات ويوجد بها الطلاب تفرز الحاصلين على درجات ليسانس (بكالوريوس) الماستر والدكتوراه، إضافة إلى الممتهنين"[8]. هذا يعني أن الجامعة هي بيئة مؤسستية متميزة، تعمل على تهيئ الأفراد بأساليب بيداغوجية وبحثية عالية نظرية وتطبيقية للحصول على رتب علمية ومهارتية متفاوتة، كما يعرفها قاموس أوكس فورد بأنها " مؤسسة تعلم الطلبة في مجالات مختلفة من التعلم المتقدم وتمنح الشهادات العلمية وتقدم التسهيلات للبحث العلمي"[9]. ومن ثمة فإن هدف المؤسسة يكمن في تزويد المؤسسات الاقتصادية برأس مال بشري متميز وكفؤ ذا قدرات أدائية مبدعة.

أما مفهوم الجامعة من المنظور الجزائري فهي تشير إلى أنها " مؤسسة عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي"[10].

الجامعة في الجزائر مؤسسة تعليمية تتكون من ثلاث أبنية أولها البنية البشرية والتي تتكون بدورها من العمال الإداريون، العمال البسطاء، الأساتذة وأخيراً الطلاب والثانية هي البنية القانونية والمتمثلة في البنية المادية تتمثل في الهياكل والأبنية والمنشئات الموجودة للقيام بعدة وظائف أهمها الوظيفة التعليمية، الإدارية، البحثية والثقافية[11].

3. الاجراءات المنهجية للدراسة:

1.3. مجالات الدراسة:

أجريت هذه الدراسة عن جامعة محمد خيضر وهي جامعة فتية نشأت سنة 1984 وتحولت إلى جامعة سنة 1988 م تتميز بالاستقلالية الادارية والبيداغوجية والمالية، تتكون فى الوقت الراهن من 6 كليات و31 قسم، أما بالنسبة لمجالها البشري، فإنه يتوزع كما هو موضح في الجدول الموالي[12].

الطلبة	29205
الأساتذة	1419= 886 د + 433 م
المدرجات	25
القاعات	235
المخابر	62

2.3. منهج الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفى وآليته تحليل المضمون، بغرض استبطان المعلومات الدالة على مبادئ الجودة وكيفيات تفعيلها في الجامعة عينة الدراسة.

3.3. أدوات البيانات: أهم أداة استعملت هنا بعد الملاحظة هى الوثائق التابعة للجامعة عينة الدراسة.

4. مؤشرات الجودة التعليم في الجزائر

كثيرة هى مؤشرات جودة في المؤسسات الاقتصادية والمؤسسات التعليم العالى التى رصدها العلماء المختصين في هذا المجال، لكن الجزائر اعتمد بعض منها في تطبيق الجودة، لأجل ذلك فقد ارتأت الدراسة الموالية إعطاء تصور فلسفى وعلمي عن مؤشرات الجودة التعليم في الجزائر.

1.4. الفلسفة المؤسسة الجامعية

تُعد الفلسفة المؤسسة الجامعية هى رؤية المؤسسة ورسالتها المجتمعية في مختلف المجالات وأهدافها المرتبطة بالبناء الاجتماعى، الذي توجد فيه مُحدداً وثبتاً لهويته ومواكباً لتغييرات الحاصلة في العالم بما يعزز تلك الهوية ويحقق له الاستقرار، عبر جملة الأنشطة التربوية، العلمية والبحثية، حيث أن المؤسسة الجامعية الجزائرية في هذا السياق تعمل على تبنى جملة من الأهداف البيداغوجية والتنظيمية والعلمية، حيث تعمل تلك الأهداف على ربط المؤسسة الجامعية بالمجتمع وظيفياً، حيث تلبى طلب سوق العمل المحلية على الخصوص وتقدم عروض اليد العاملة العلمية والماهرة، إضافة إلى معالجة مشكلات المجتمع الاجتماعية، النفسية، البيئية، الاقتصادية والمعمارية، والسياسية...الخ من خلال البحوث والدراسات الميدانية العلمية سواء المنجزة من طرف الخرجين أو لمخابر البحث المتواجدة بالجامعة الجزائرية وفرق البحث، وهي أهداف واضحة للعاملين في الجامعة الجزائرية على

اختلاف شرائحهم، إلا أن تلك الأهداف غير قابلة للتجسيد في الوقت الراهن للجامعة الجزائرية رغم رقيها وبعد رؤيتها، نتيجة عدم التوازن بين المدخلات البشرية والمادية للمؤسسة الجامعة، حيث عدد المسجلين بالجامعات الجزائرية أكبر بكثير من المرفقات البيداغوجية والإدارية المتوفر في التكوين والتسيير والبحث العلمي، هذا من جهة ومن أخرى، أن المخرجات البشرية والبحثية لا تستغل من طرف المؤسسات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية إلا بنسبة قليلة جداً، وهذا ما يعكسه الارتفاع المتزايد للباطلين من خرجي الجامعات، وهذا يؤدي إلى طرح إشكالية التخطيط.

عموماً تضمن عملية التخطيط تحقيق المؤسسة فلسفة المؤسسة الجامعية على أرض الواقع من خلال تحديد طرائق التنفيذ، باستخدام معدل مدخلات الجامعة كأرضية لإجراءات التخطيط وتعديل سياسة الجامعة البيداغوجية والتسييرية الإدارية وفق ما تقتضيه معطيات الواقع والتغييرات المفاجئة، تبعاً لما يناسب أنشطة الجامعة المختلفة (التدريس، البحث، وخدمة المجتمع) بما ينسجم مع فلسفتها التعليمية، مما يتطلب الاستقلالية الإدارية والمالية، غير أن عملية التخطيط في الجامعة الجزائرية "ممركز في جوهرها تسعى إلى إعادة إنتاج إيديولوجية الطبقة الحاكمة"[13].

2.4. البرامج التربوية وفاعليتها

تهدف المؤسسة برامج جامعية الجزائرية إلى تخريج طلبة ذوي كفاءة في التخصصات المعرفية المطلوبة في سوق العمل، ومن هنا، فإن تقييم البرامج التربوية، واستمرارية تحسينها وتطويرها، هي مسؤولية مستمرة للمؤسسة (وهيئة الاعتماد). وعلى المؤسسة تطوير/ تعديل برامجها وخططها وإجراءاتها ومواردها ومكوناتها استجابة لتغير الظروف، وحاجات المجتمع ومؤسساته، من أجل الإبقاء على برامج تربوية ذات مستوى عالى الجودة، وهذا ما حدث في أغلب الجامعات الجزائرية منذ عامين تقريباً عبر عملية تحيين المقاييس السارية المفعول، نتيجة

الملاحظات المختصين في إدارة الجودة بأنها غير مواكبة للبناء المعرفي المتطور، حيث أضافت هذه الأخيرة بالتشاور مع هيئة التدريس مقاييس وحذف أخرى، من جهة ومن جهة أخرى، تعديل مضامين المقياس أخرى بما تتطلبه السياسة التعليمية وهنا يصل التحليل إلى العملية التخطيط التربوي.

يستند التخطيط للبرامج التربوية على التقييم المستمر والمنظم لها في ضوء الحاجات الخاصة بالتخصص، وميدان العمل الذي يعمل البرنامج على إعداد الطلبة للالتحاق به، أن هيئة التدريس بالجامعة الجزائرية في الوقت الراهن، حيث أن أغلبهم أساتذة باحثين وكوادر متخصصة لها دور كبير في تقديم الاستشارة والتوجيه الأكاديمي بدرجة عالية من المهنية لكن يبقى رأيها في حيز موافقة الإدارة التي في غالب الأحيان تتحرك وفق منطق أيديولوجية السياسة التعليمية، وبالتالي ضعف استقلالية الجامعات الجزائرية[14].

3.4. أعضاء هيئة التدريس

تُعد عملية اختيار أعضاء هيئة تدريس أكْفَاء، وتطويرهم، والاحتفاظ بهم من القضايا المهمة للمؤسسة، إذا تُلقى على عاتقهم مسؤولية تنفيذ البرامج التربوية، وتوفير الجودة فيها، من هنا، يجب أن يتوافر في المؤسسة العدد الكافي والمؤهل من أعضاء هيئة التدريس لتحقيق رسالتها وأهدافها، أن يُشارك أعضاء هيئة التدريس في التخطيط الأكاديمي، وتطوير البرامج ومراجعتها، والإرشاد الأكاديمي للطلبة سواء في إعداد بحوث التخرج أو في إنجاز بحوث المشاركة في فرق البحث.

في هذا السياق يقدر حجم هيئة التدريس بجامعة بسكرة بـــــ **1419** أستاذ جامعي من بينهم **886** دائم والبقية متعاقد[15]، لهم إسهام كبير في تقديم إعادة بناء البرامج التربوية وتحيينه، فتح مشاريع علمية بحثية، تخصصات جديدة، نتيجة الاتصال الالكتروني المباشر بموقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية وموقع الجامعة، لكن المشكل عدم الفاعلية الحقيقية والقوية التي تواكب ما تتمتع

به هيئة التدريس من معارف وخبرات[16]. والسبب في ذلك عدم توفر الوقت الكافي للبحث والدعم اللازم لهم للنمو الخبرات المهنية نتيجة عدم تفعيل بعض النصوص القانونية كالمادة 6[17]، لأن الهدف العميق من وجود هذه المادة ليس تخفيض الحجم الساعي بل إعطاء وقت للأستاذ الباحث في ممارسة البحث براحة أكبر، بينما الرواتب والحوافز المقررة وزارياً التي يتلقاها أعضاء هيئة التدريس ملائمة لجذبهم، واستمرارية عملهم في الجامعة، لكن تبقى تلك الرواتب متدنية مقارنة بمثيلتها في الجامعات العالمية، أما فيما يتعلق بتوفر الحرية الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة الجزائرية في ممارسة البحث بأشكاله والمعززة بالمادة **13**[18].

الادارة عموماً تقوضها لحجة الميزانية غير أن عدم تفعيلها بالشكل الكافي يدفع إلى ترتيب الجامعة عالمياً ومحلياً في مستويات دنيا، أما من حيث كفاية هيئة التدريس بيداغوجياً والتي تقدر بالقيمة x فإن العملية حسابية الموالية:

x = 29205/886 = 33 طالب

على اعتبار أن عدد الأساتذة الدائمين هم **886** والبقية متعاقدين[19].وهم من حاملي شهادة ماستر أو ليسانس، مما يعني أنه غير مؤهلين وفق معايير التدريس العالمية في الجامعة، وبالتالي يتعين على جامعة بسكرة كغيرها من الجامعات الجزائرية زيادة توظيف المدرسين من حاملي شهادة الماجيستير والدكتوراه ما يقدر بالقيمة:

y = 29205 -(886*25) = 282 أستاذ

هذا من منطلق أن التأطير البيداغوجى النموذجى لتحقيق جودة التعليم يقدر بـ 25 طالب، ومن ثمة فإن التأطير البيداغوجي يعاني من نقص ملحوظ، إذ

يتطلب من الجهات المعنية التدخل لاستدراكه لأجل السير في سلم جودة التعليم وبخطى ثابتة نوعاً ما.

4.4. البحث العلمي والإبداعات:

تعد البعثات والأبحاث والإبداعات من القضايا المعتمدة في الجامعات الجزائرية بما فيها جامعة محمد خيضر اللازمة لتفعيل النشاط البيداغوجى والبحثى أعضاء هيئة التدريس، حيث أن لكل مدرس فترة كل سنة تقريباً لاطلاع على البحوث العلمية للجامعات العربية والغربية والتواصل مع الدكاترة والمختصين ومراكز ومخابر البحث مكفول النفقات من طرف الجامعة التى ينتمى إليها المدرس الجامعى، حيث يترتب عنه كسب أعضاء هيئة التدريس البراعة والمهارة العلمى، ومن ثمة المساهمة بشكل حقيقى وصادق في تطوير ممارساتهم التدريسية، إضافة إلى أنها المصدر الأساسى لاستدامة أعضاء هيئة التدريس في المؤسسة، أما البحث العلمى فهو النشاط العلمى الموجه نحو بناء أو تعديل النظريات وتطوير المعرفة التطبيقية، ولهذا فإنه يعد من أهم مكونات التعليم العالي.

تعزز وزارة البحث العلمي والتعليم العالي الجزائرية عمليات البحث بكل أشكاله وفق للمادة 13[20].

مشاركة أعضاء هيئة التدريس في المؤتمرات المحلية والدولية من خلال الدعم المادي وتخصيص ميزانية وفقاً لنصوص القانونية الجزائرية واضحة ولا تحتمل التأويل، غير أن حجم تلك الميزانية غير كافي ويعد أضعف ميزانيات الوزارات الأخرى في الدولة الجزائرية مقارنة بالدول المتقدمة، التي لها خطوات سباقة في التعليم على اختلاف مراحله والبحث العلمي كذلك، من ثمة فإن عدد مخابر البحث تقدر بـ **24** مخبر تضم **647** باحث[21].

من أصل 886 أي فيما يعادل:

$$Z = (647 \times 100) / 886 = 73\%$$

ومنه فإن نسبة 73٪ انضمام أعضاء التدريس لفرق البحث تعد مقبولة، غير أن الشركاء الاجتماعيين للجامعة والمتمثلة في مؤسسات الدولة الاجتماعية، التربوية، الاقتصادية والسياسية لا تتبنى النتائج العلمية المتوصل إليها لتطوير نظامها وحل مشكلاته وتحسين منتجاتها المادية والمعنوية، وهذا يعنى أن الشراكة الاجتماعية بين مختلف مؤسسات المجتمع الجزائري والجامعة الجزائرية بما فيها مراكز البحث غير متواصلة وتحتاج إلى تفعيل حقيقي واقعي.

5.4. المكتبة ومصادر المعلومات:

عادة الهدف الأساس للمكتبة ومصادر المعلومات فيها هو دعم عملية التعلّم والتعليم أو التدريس والبحث العلمى، لذا فإن الجامعات الجزائرية في تحتوي على مكتبة مركزية يتردد عليها كل الطلاب والمدرسين كما أنه لكل كلية مكتبة خاصة بها متخصصة بالكتب التابعة للتخصصات الموجودة بالكلية فقط وكل منها يوفر على أحدث الكتب والمراجع.

تتمتع جامعة محمد خيضر بمكتبات منها المركزية والكليات بنظام معلوماتى حديث في عملية البحث عن الكتب والمراجع الضرورية للبحث، إضافة توفير الخدمات المحوسبة والتكنولوجيا الحديثة للاتصالات من خلال شبكة الانترنت في الجامعة الجزائرية لتسهيلات الوصول إليها، كما أن توفير خدمات الاستعارة والتواصل مع مصادر أخرى غير المصادر المتوافرة داخل المحيط الجامعى، على أن لا تكون بديلة عن توافر المصادر والمعلومات الخاصة بالجامعة بتوفير الكادر

البشرية الملائمة للمكتبة ومصادر المعلومات من حيث الكم والنوع الطاقم المسير للمكتبة الذي يتمتع المهارات اللازمة.

6.4. الحاكمية والإدارة:

لنظام الحاكمية والإدارة دور كبير في تجسيد فلسفة المؤسسة الجامعية وأهدافها، حيث يزود القائمين على حاكمية الجامعة، وإداراتها، والعاملين معهم بأهداف المؤسسة، وترتيب أولوياتها ترتيباً منطقياً لا يخضع إلى إرادة المسير أو رغباته الخاصة وخطط الجامعة التطويرية والتنظيمية، وبرامجها التعليمية[22]، مما يؤدي إلى تدعيم البيئة التعليمية فيها، سواء بتوزيع صلاحيات اتخاذ القرار والمسؤوليات العمداء ونوابهم وفق ما تقتضيه القضايا البيداغوجية والإدارية وسلاسة التواصل الإداري لأجل تسوية القضايا اليومية التنظيمية، في هذا السياق تفتقد الجامعة الجزائرية إلى حاكمية.

إن سياسات الجامعة الجزائرية وإجراءات اختيار الإداريين في المؤسسة ورؤساء المجالس واللجان العلمية غير واضحة وغير محددة والعاملين فيها، حيث أن الشخص الذي يرتقي لمنصب أحد المناصب العمادة أو رئيس قسم قد يتجاوز عدد السنوات البقاء في المنصب الحد المعقول والمقبول من طرف الهيئة التدريسية، حيث يصل إلى 7 إلى 15 سنة أو ربما حتى التقاعد، مما يجعله يتمادى في التدخل في تحديد العلاوات والحوافز لزملائه في القسم ليس لجذب المستخدمين الأكفاء وتحفيز المدرسين على الأداء العالي بل التذمر والشعور بالظلم[23].

وفي بعض الأحيان الاقصاء مما يجعلهم لا يستجيبون لرسالة المؤسسة الجامعية الجزائرية والسعي في تحقيق أهدافها والتشرب من فلسفتها.

7.4. المصادر المالية والمادية:

يفترض أن يكون التخطيط المالى للمؤسسة الجامعية ووضع ميزانيتها من الأنشطة المستمرة التي تمتاز بالواقعية ومبنية على أساس رسالة المؤسسة وأهدافها،

وهو عملية إستراتيجية موجهة، إذ يتضمن التخطيط إسقاط البنود الرئيسية لإيرادات المؤسسة، والخطط الخاصة لبنود النفقات الرئيسة، وخطط إدارة للإيرادات والنفقات الكبرى لمدة ثلاث سنوات (على الأقل). ويجب أن تعكس ميزانية المؤسسة طويلة المدى وقصيرة المدى أهدافها وأغراضها، كما تنشر المؤسسة الميزانية السنوية لها، وتوزعها على الكليات، مع سعى المؤسسة الجامعية إلى إيجاد شركاء اجتماعيين لتوفير مداخل مالية الملائمة والكافية لتفعيل المؤتمرات والبحوث العلمية.

في هذا المساق إن الجامعة الجزائرية في مختلف التراب الوطنى ملزمة قانونياً بوضع ميزانية محددة لكل سنة على حدا تحدد فيها نفقاتها وأولوياتها حسب الكليات والأقسام الموجودة في الجامعة، في كل سنة يرفع بعض الجامعات الجزائرية عجزها المالى للوزارة، مما يؤدي في بعض الأحيان تأجيل تقاضى رواتب المدرسين أو تأخير استلام هؤلاء نفقات التربصات بالخارج، وهذا لأن ميزانية التعليم العالي والبحث العلمي.

5. نتائج الدراسة:

حوصلة تقييميه لمؤشرات الجودة في المجال التعليمى الذي تؤسس له الدولة الجزائرية، ساعية في ذلك بلوغ درجة عالية من الجودة، رغم وجودة مصلحة إدارة ضمان جودة التعليم من خلال تطبق المعايير الواجب توافرها.

1.5. المؤشرات الايجابية:

إن الجامعات الجزائرية وإحداها جامعة بسكرة تتوفر على الكثير من المؤشرات الايجابية التى قد تؤهلها بخطوات متسارعة وثابتة لحقيق جودة التعليم العالى، أهمها توافر رواتب والحوافز المرتفعة التى يتلقاها أعضاء هيئة التدريس والمناسبة لجذبهم واستمرارهم في العمل وممارسة البحث والتعليم، إضافة إلى انفتاح أفاق واسعة أما المدرس والمتمدرس الجامعيين في ارتباطهم بالمجتمع ومؤسساته من خلال الشراكة الاجتماعية وجعل نشاطهم يكون أكثر استثمار،

إضافة إلى تعزيز مشاركة هيئة التدريس في المؤتمرات المحلية والدولية ودعمها ماديا ومعنوياً، تتمتع المكتبات الجامعات الجزائرية المركزية والكليات بنظام معلوماتى متطور وحديث، يمكن الباحث المبتدئ والمتمرس من البحث، تدخل الهيئة التدريسية في تكوين مضامين المادة التعليمية تدخل مفتوح وتحيينها وفق الضرورة الآنية للواقع الجزائري والعالمى المتعدد الأبعاد، أما بيداغوجياً فإن الجامعة تحتكم على رصيد من الكتب والمؤلفات العلمية الحديثة الاصدار التى يعتمد عليها الطالب والاستاذ في اعداد البحوث والدروس كذلك، إضافة إلى قاعات معلوماتية مزودة بألات كمبيوتر حديثة وشبكة عنكبوتية.

2.5. المؤشرات السلبية:

من منطقى وجود مؤشرات سلبيات بالتعليم العالى قد تعرقل بدرجة معينة تفعيل جودة التعليم العالى، لكن المهم أنه كلما كانت تلك مؤشرات كثير وحاسمة كلما كانت عرقلتها للجودة مرتفعة، ومن أهمها أن الجامعة ليست مستقلة ايديولوجياً بمعنى أنها تعمل على إعادة إنتاج إيديولوجية الطبقة السياسية الحاكمة في الدولة الجزائرية، إضافة إلى وجود المركزية الادارية في التسيير في جميع مستويات التنظيم الإداري الجامعى مما خلف وراءه درجة من الجمود الإداري، التى يعسر من أداء المهام البيداغوجية للمدرس وفي هلامية بعض من حقوقه، في مقابل تضييق مجال الحرية الأكاديمية لهيئة التدريس في ليس على مستوى الجامعة بل مستويات أوسع، إضافة إلى عدم استخدام مؤسسات الدولة الاجتماعية، التربوية، الاقتصادية والسياسية النتائج العلمية المتوصل إليها لتطوير ذاتها وتحسين فاعليتها، لأن سياسة تسيير الجامعة الجزائرية وإجراءات اختيار الإداريين فيها ورؤساء المجالس واللجان العلمية غير واضحة ومفتوحة المدة، وهذا ما لا يتماشى القانون من ناحية والمؤشرات العالمية لجودة التعليم العالي من ناحية ثانية.

3.5. جاهزية الجامعة الجزائرية:

من خلال التقييم التفصيلي أعلاه، يمكن القول إن جاهزية الجامعة الجزائرية بما فيها جامعة بسكرة ليست جاهزة بدرجة كبيرة ومقبولة لتطبيق الجودة التعليم العالي، لكن يعد السعي وراء تطبيق جودة التعليم العالي خطوة مهمة وسليمة لتحسين وتطوير التعليم والبحث العلمي بالجزائر، لكن تتطلب الوقت والسرعة التنفيذية الإجرائية، والكثير من النفقات، بمعنى أن ميزانية التعليم والتعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر لا بد أن تكون أكبر مما عليه الآن، والكثير من العقلانية والترشيد الإداريين، ونظرياً لكثافة المؤشرات السلبية فقد تم جامعة الجزائر تحتل المرتبة الـ 80 عربيا و الـ 6275 عالميا تصنيف إسباني يدرج 3 جامعات جزائرية في ذيل ترتيب الجامعات العربية[24].

الخاتمة

تعد الجودة في التعليم العالي الجزائري إستراتيجية تعليمية تستدعي الكثير من المتطلبات المادية، الإدارية، القانوني والبشرية، التي تمكن من إحداث تغيير بيداغوجي مطلوب ومواكب للتغييرات العالمية، ومن ثمة فإن النظام البيداغوجي العالي الحالي بظروفه الحالية مازال جنيني لبلوغ الرشد في الجودة.

❖ **هوامش البحث**

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، ج2، 1984، ص 214.

(2) مهبوب علي، **ضمان الجودة في التعليم العالي النموذج البريطاني**، المؤتمر 2 للتعليم العالي، مارس 2008، اليمن، ص66.

(3) علي سلمي، إدارة التميز **(نماذج وتقنيات الإدارة في عصر الحديث)**، دار غريب، القاهرة، 2002، ص19.

(4) juran j, **universal approach to managing for quality (the quality trilogy), quality progress,** august, 1986, p24.

(5) tribus, m, **TQM in education (the theory and how to put it to work)**, in quality goes to school, readings on quality management in education, American Association School Administrations Arlington VA .

(6) Ibid.

(7) World Bank, "**From Privilege to Competition**: Unlocking Private-led Growth in the Middle east and North Africa." Washington, DC: 2009.

(8) www.thefreedictionary.com/university/..22.12.2012

(9) Oxford Advanced Learner's Dictionary.

(10) الجمهورية الجزائرية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المرسوم رقم 03-579 المؤرخ في 23/ 08/ 2004، ص21.

(11) دليو فضيل وآخرون، إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص228.

(12) www.univ-biskra.dz/index.php 20/05/2013.

(13) محمد عبد الرحمن، عبد الله .علم اجتماع التربية الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص225.

(14) بن أشنهو مراد، نحو الجامعة الجزائرية، تر: عايدة أديب باية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص222.

(15) www.univ-biskra.dz/fac/fshs / - 29/12/2012.

(16) Dominique Glasman et Knamen Jean, Essai Sur l'Université et Les Cadres en Algérie. P11

(17) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية/ ع 23/ المؤرخ 4-05-2008.

(18) المرجع السابق.

(19) www.univ-biskra.dz/fac/fshs / - 29/12/2012.

(20) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية/ ع 23/ المؤرخ 4-05-2008.

(21) www.univ-biskra.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=54&Itemid=136.

(22) Carlos. T, "A New Vision of Hihger Education", Higher Education Policy, Vol. 9, no. 1, 1996, p11.

(23) بوسعادة رشيد وبوبكر سمير، الجامعة المنتجة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2000، ص 254.

(24) http://ar.algerie360.com - 20/05/2013.